محاضرة رقم: 10	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة	بلاد عربية قديمة
اسم المادة باللغة الانكليزية	Ancient Arab countries
المرحلة	الثانية
السنة الدراسية	2021-2020
الفصل الدراسي	الاول
المحاضر	أ.م.د. انمار نزار الحديثي
عنوان المحاضرة باللغة العربية	بعض الاوجه الحضارية في حضارة وادي النيل- الدولة والمجتمع
عنوان المحاضرة باللغة الانكليزية	Some aspects of civilization in the Nile Valley Civilization - the state and society
المراجع والمصادر	طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديم- حضارة وادي النيل
	عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم

المحتوى...

الفصل السادس

بعض الاوجه الحضارية في حضارة وادي النيل

_1الدولة والمجتمع:

ان تكوين الدولة المصرية تم بقيام الملكية فيها ولا نعرف بالضبط متى كان قيام الملكية في بلاد وادي النيل الا اننا نستطيع ان نتبين عهدها السحيق من الالقاب والرموز التي كان يحملها الملك منذ اقدم الأزمان , ثم من الالبسة والمظهر . وقد كانت هذه الالقاب تزداد بتغير وتقدم الزمن في عهد الدولة المتوسطة . كان للملك خمسة القاب فكان يلقب بأسم الإله (هورس)وهذا يعني ان مركز الملك في المجتمع المصري , واصبح معادلاً لإله الدلتا (هورس) الإله الرئيسي للمدن عند تكامل توحيدها في ازمان ما قبل التاريخ, واللقب الثاني السيدتان وهما الإشارتان الهيروغليفيتان التان تظهران مع اسم الملك مصورتين برسم الإلهة العقرب والإلهة الثعبان , وهتان الإلهتان تشيران الى العهد الذي انقسمت فيه الدولة المصرية بعد توحدها وذلك في الفترة الواقعة بين زمن التوحيد في عصر ما قبل التاريخ , والدور الذي تم فيه التوحيد النهائي , فقد كانت كل واحدة منهما الع رسمي لأحدى الدولتين , ثم اللقب الثالث

(هورس من ذهب) ويظهر لأول مرة في عهد السلالة الرابعة ' ثم اللقب الرابع (ملك مصر العليا والسفلى)ويشير الى الوحدة بين جزئي البلاد الذين انفصلا عن بعضهما, ثم اللقب الخامس (ابن الإله الشمس رع) ويشير الى التطور الذي طرئ في اواخر السلالة الرابعة.

اما من ناحية المظهر واللباس فأن ذيل الحيوان(سوط) الذي يحمله الملك بيده يشير الى الزمن , كانت تسوده الحروب وهو الفترة المتأخرة لعصر ما قبل التاريخ, ولاسيما في ليبيا المجاورة لبلاد النيل.

كما نحد ذلك واضحاً في بجداية قائمة الملوك المكتوبة على جدران معبد الملك سيتوس الأول في مدينة ابيدوس حوالي (1300ق.م), اذ يظهر الملك سيتوس يحمل بيده اليسرى سوطاً بهيئة ذيل الحيوان وامامه ولده ولي العهد رعمسيس يحمل بيده لفيفتين من البردي , وتتدلى من شعره ضفيرتان رمزاً لولاية العهد, كذلك من مظهر الملك الثعبان (اوراس) القائم معقوفاً فوق جبهة الملك وهو تأثير ليبي , ثم الباس القصير المعروف ب(الخيتون) وما يتوسطه من نوع خاص من طراز الخياطة يميزه عن الإله العادي الأخرى كالحزام المتدلي مثلاً.

وتشير الحية الى ازمان ما قبل التاريخ , ثم هناك ظواهر خاصة باللباس تميز مصر العليا عن ملك مصر السفلى , وتظهر بوضوح في التيجان , فملك مصر العليا يلبس تاجاً ابيضاً يشبه (العرقجين) مدور الشكل , اما ملك مصر السفلى فيلبس تاجاً مخروطي الشكل له نهاية معقوفة بشكل حلزوني وقد لبس الملك كلا التاجين اثر توحيد كلا القسمين وحكمه لهما كدوله واحدة , ولك من هذه الالقاب معاني دينية ذات علاقة كبيرة بسلطة الملك ومكانته في المجتمع المصري القديم . فاللقب الاول والثالث تنعت الملك بالإله (هورس) وهذا يعني ان الملك المقيم في الأرض وكذلك معناه ان الملك هو ابن الإله الشمس رع.

وهناك اسطورة وان كانت من السلالة الثامنة عشر , ولكنها ترجع الى ازمان قديمة تقل ان الملك تكون من اتصال الإله بالملكة الذي تمثل لها بهيئة زوجها ووطئها , وبذلك فأن الملكية تكوين الاهي واجبة التقديس والاحترام والطاعة , ولكننا مع ذلك كله لا نعرف مدى تغلغل تقديس الملكية في معتقدات الشعب المصري وتقبلهم لها في جميع مراحلهم التاريخية , فقد اصابتها رجاة رعدية اكتنفها كثير من الغموض فالمعلومات التاريخية تشير مثلا الى ان الملك حتبشسوت لم تقبل على عرش وادي النيل بسهوله , بل لقيت مقاومة شديدة في الاحتفاظ بلقب (ابن الشمس) , على الرغم من انها كانت الوريثة الشرعية للعرش , والسبب في هذه المقاومة يرجع الى انها كانت امراة وعدم رغبة الشعب المصري في ان تحكمه امراة .

من الجدير بالذكر ان الملكة حتبشسوت كانت تصور نفسها دائما بهيئة رجل ولم يستغل فراعنة مصر اعتقاد الشعب المصري فيهم انهم الهة ليفرضوا عليهم عباداتهم والصلاة لهم في المعابد في حياتهم , وتدلنا المعلومات التاريخية ان اول مصري فرض عبادته وهو على قيد الحياة هو الملك امنوفس الثالث فقد امره النوبيين ان يعبدوه في معابدهم , ويقدموا اليه القرابين والصلاة له وطلب الرحمة منه.

وبالنظر الى فكرة التقديس هذه التي يحملها الشعب المصري نحو الملكية واعتقادهم انها من جملة وظائف الاله وواجباتها فانه لا يمكن تحديدها بزمن وتاريخ.

فالملكية في اعتقاد قدماء المصريين نشأت مع وجود الاله وقبل وجودهم على الارض , ولكن الحقائق التاريخية تثبت ان الملكية فصل من فصول التاريخ لها زمن معين وبداية ونهاية , ولا غرو ان المعلومات عن نشأت الملكية وبدايتها قليلة , ولا سيما في العصور التي كانت فيها ملكيات كثيرة وصغيرة في بلاد وادي النيل . ولم تتضح الملكية في بلاد وادي النيل الا في زمن السلالتين الاولى والثانية عندما تمت وحدة بلاد الوادي , والمصادر لهذا الدور يمكن استخلاصها من مشاهد الصور المنقوشة على جدران المعابد والقبور في ابيدوس التي تصور الحفلات والمراسيم التي يترأسها الملك بنفسه كالأعياد الحكومية التي انقلبت فيما بعد الى اعياد تعرف بأعياد الملك مثل اعياد الاحتفالات بتوحيد مصر العليا , ومصر السفلى , والسير والطواف حول سور المعبد وعيد الثلاثين سنة ثم الاعياد الدينية كالعيد الذي يحتفل فيه بتقديس الاله (هورس) وخروج العجل (ابيس)من معبده وسيره بمهرجان كبير بين جموع الناس وعيد الاله سكر ثم عيد الفلاحين وهو عيد حرث الارض.

بالإضافة الى هذه المشاهد المصورة من الاحتفالات والاعياد التي تقدم لنا فكرة واضحة عن نشأت الملكية وكيانها في بلاد وادي النيل , هناك المباني الملكية كالقصور والمعابد التي يقوم بتشييدها كل ملك جديد يأتي الى الحكم.

وقد اتضحت فكرة الملكية في السلالة الرابعة واصبح الملك المؤله اقوى شخص في البلاد ولا ينافسه في سلطته احد , كما صار جميع الموظفين حتى كبارهم تحت امرته يوزعهم على الوظائف في جميع انحاء القطر كيفما يشاء , وكان اعلى منصب في الدولة منصب الوزير يعين من احد أمراء البيت المالك .

وتتمثل المركزية للدولة المصرية القديمة وبالأخص في عهد السلالة الرابعة في بناء الاهرام الذي يشترك في تشييده جميع طبقات الشعب والبنايات المحيطة به . ففي اسفل الاهرامات عملت المقابر لحاشيت

الملك وكبار الموظفين في الدول , اذ يمنح الملك كلا منهم قبرا لكي يكونوا معه بعد الموت ايضا , كما هي الحال في المقبرة الواقعة في الجهة الغربية من هرم الملك خوفو من السلالة الرابعة في الجيزة.

وقد صادفت الملكية في نهاية السلالة الرابعة منافسة في سلطتها من طبقتي الاشراف والكهنة التين اخذت شوكتهما تزداد فاصبحت الوظائف الكبيرة المهمة وراثية , واخذت طبقة النبلاء تستحوذ على مساحات كبيرة من الارض والاقطاعات فزاد نفوذها وقل ارتباطها بسلطة الملك وأل الامر الى ان يناؤوا الملك السلطة في البلاد , ولم يكترثوا بان يدفنوا في العاصمة قرب المكان المخصص لدفن الملك وانما دفنوا في مدنهم التي يعيشون فيها.

اما طبقة الكهنة فلم تكن اقل من طبقة النبلاء مناوأة لنفوذ الملك ولا سيما كهنة الاله الشمس اتون رع اله مدينة هيلوبولس فقد عرفت هذه الطبقة كيف تحتفظ بنفوذها بعد ان اصبحه الاله بتاح الاله محلي الاهاً رسمياً للدولة بدل الاله القديم اله الشمس , وذلك اثر انتقال العاصمة مفيس , وقد تمكنت هذه الطبقة من الاستحواذ على السلطة في نهاية السلالة الرابعة , ويؤكد معظم المؤرخين بانه كان لهذه الطبقة اثر كبير في تقويض السلالة الرابعة وقيام السلالة الخامسة , وهذا ما تبين بوضوح من اللقب الجديد (ابن رع) الذي يرمز دائما الى تاليه الملك ولكن ليس بالدرجة التي كانت عليها لحد الان وهي مشابهة بالاله حورس وتحتومس , وهذا اللقب الجديد فقد اصبح على الملك ان يشيد معبداً للاله الشمس عند كل هرم يقوم ببنائه , ونستدل على قوة نفوذ الكهنة في هذه السلالة من الاوامر الملكية التي يصدرها الملك لبناء كل معبد جديد والتي تتضمن موافقة الكهنة بالدرجة الاولى الامر الذي ادى الى تدخل الكهنة والى ان تفقد الملكية جميع ما كان لديها من نفوذ وسلطان , ثم الى انهيار كيان المملكة في نهاية حكم السلالة السادسة الموحدة وقيام عدة سلالات ملكية في البلاد خلال القرون المتعاقبة , اذ كان الوضع السياسي في البلاد عند قيام السلالة الثانية عشر يختلف تماماً عما كان في عهد الدولة القديمة , فالملك لم يكن له نفوذ والقوة غير الاسم فقط , وكانت الحكومة المحلية قد اصبحت خلال هذه الفترة من القوة بمكان لدرجة ان الملك لم يعد الا رمزاً في البلاد , وكان يعد الملك الاول بين بقية الملوك العديدين , وقد رافق هذا الانقسام السياسي الهائل في البلاد تدهور الحالة الاجتماعية وسوء الاوضاع الاقتصادية وانحطاط سمعة مصر في الخارج فكان لابد من التغلب على هذه الاوضاع السيئة والقضاء على الحكومات المحلية واعادة هيبة الحكم والسلطان الى الملك والى ما كانت علية في سابق العهد , وقد تم ذلك بالفعل على يد سيسوسترس الثالث وهو الملك الخامس من السلالة الثانية عشر والذي وحد البلاد واعادة قوة

الملكة الى ما كانت علية في السابق ولكن بفارق واحد هو ان الملكية لم تعد تسيطر على الناس حسب الاعتقاد القديم بان كيان البلاد وحياة الشعب ورفاهيته منوطة بحياة الملكية وبقائها إنما بقاء الملكية اصبح منوط بسيادة البلاد وتقدمها , كذلك لم يعد الملك مصدر السلطات ورمز القوة في البلاد بل الحكومة التي صار عليها ان تهتم بتأمين رفاهية الشعب والعمل على تقوية البلاد والمحافظة على سمعتها ومكانتها الرفيعة في الخارج.

وبعد أجلاء الهكسوس من بلاد النيل عادت الملكية الى قوتها السابقة في عهد الدولة القديمة فأصبحت سلطتها مركزية واخذت على عاتقها مهمة توسيع سلطانها عبر الحدود المصرية , ولكن مفهوم الملكية لدى الملوك والشعب تغير كثيراً عما كان علية في الازمان السابقة فقد أخذت تضمحل النظرة الالهية في الملكية تحت تأثير الحقيقة الواقعية وتتوضح اكثر بأنها سلطة بشرية اكثر مما هي الهية , وان الملك وان كان يتمتع بقدسية الاهية الا النه من سلالة بشرية وقد ظهره بوادر هذا الاعتقاد في زمن تحتومس الثالث وامنوفس الثالث وامنوفس الرابع , ومن الفوارق البارزة في الملكية في الدولة الحديثة , والدولة الحديثة هي المكانة التي احتلتها الناحية الدينية الى جانب الملكية في حكم البلاد , فمنذ تأسيس الدولة الحديثة صار الكهنة يهيمنون على الناحية الاقتصادية , بالإضافة الى الناحية الدينية فازداد بذلك الصراع بين الكهنة والملك الذي انتهى في الدولة الحديثة بانتصارهم عليها , فارتقاء تحتومس الثالث العرش جرى باختيار الاله امون وتكليفه له بهذا المنصب بالطريقة التي مر ذكرها عند الكلام على هذا الملك , وعي طريقة الاستقسام التي اجراها الكهنة في معبد الاله امون بمدينة طيبة , ولما بلغ تحتومس الثالث اوج عظمته وانتصاراته اخذت الغنائم والهدايا ترد الى معبد الاله امون كأنما الملك تحتومس الثالث كان يحارب باسمه , فقد ذكر الملك نفسه في بلاغاته الحربية التي دونها على جدران المعبد الذي بناه الاله امون في الكرنك مقدار الغنائم الحربية والاموال التي قدمها الاله امون اله الدولة الرسمي وصارت ميزانية الاله امون اضخم من ميزانية الدولة التي اخذت تنفق على المشاريع والابنية.

كذلك فان الصراع كان قائماً بين الملك امنوفس الرابع (اخناتون) وبين الاله امون وكان في الواقع صراع بين الملك وبين الكهنة وكان لا يهدف الى انتزاع السلطة الدينية من يدهم فقط , وانما انتزاع النفوذ الاقتصادي والاستيلاء على الثروة الطائلة التي جمعها هؤلاء الكهنة باستغلالهم خيرات الشعب وثروة البلاد باسم الاله امون , والواقع ان كهنة الاله امون وحدهم كانوا يملكون من الثروة والاراضي بمقدار ما تملكه بقية المعابد في البلاد , فقط جاء في لفيفة البردي المعروفة بلفيفة هريس من زمن رعمسيس الثالث

احصاء بالممتلكات والعقارات التي يملكها المعبد بان ثلث الاراضي الخصبة في بلاد وادي النيل كانت ملكاً للإلهة المصرية , وان كل مصري ملك للمعبد ويعمل طول حياته في خدمة معبد مقاطعته , ويذكر هذه الوثيقة التاريخية بان رعمسيس الثالث خصص اربعة اخماس الهداية والمنح الخيرية الى الاله امون في معبد طيبة وهذا دليل كاف على الثروة الطائلة التي كانت في حوزة كهنة الاله امون والتي تكون قوة خطيرة بيد الكهنة المناوأة الملك وازاحته عن العرش متى ارادوا ففي زمن رعمسيس الحادي عشر استفحل امر الكهنة وبالأخص كهنة الاله امون , اذ وضع رئيس كهنتها هريس هور على رأسه التاج واسس اول حكومة دينية ادى في الواقع الى القضاء على الاستقلال السياسي للبلاد , ففي الوقت الذي كان فيه الكاهن الاعلى يرأس حكومة الاله في طيبة قامت في الدلتا حكومات عديدة يحكمها الامراء ويشركون معهم كهنة الاله امون وذلك منذ عهد حارب حيب .